الأمين العام في

سلطة الاستقلال لم تقدم نفسها لجمـــا

• يثير الأستاذ عبدالقادر باجمال -الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام- الكثير من الرؤى والأفكار التي تحرك العقول الخاملة.

فهاهو يضعنا أمام أسئلة تبحث عن إجابات ملحة منها هل الصدفة أم الضرورة كانت وراء تزامن خروج البريطانيين والمصريين من اليمن.. وغير ذلك من الأفكار المثيرة للجدل.. جاء ذلك في الحوار الذي أجرته معه صحيفة الجمهورية والذي شخّص فيه الخارطة السياسية والصراع الايديولوجي والتنازع الاقليمي والدولي على الجزء الجنوبي من وطننا عشية الاستقلال والفترة التي تبعته، اضافة الى أنه يكشف عن غياب أي مشروع امتلكه الماركسيون لاعادة تحقيق الوحدة اليمنية.. حول هذه القضايا المهمة وغيرها تعيد «الميثاق» نشر نص الحوار تعميماً للفائدة.

نحتاج إلى رؤية للمستقبل ولا داعي لفتح ملفات الماضي

الكويين اقترحوا تكوين الجمهورية من ست محافظات وفرضت البدلة والكرفتة على الحكومة

■ *كيف تقرأون المسار التاريخي للوحدة اليمنية؟*

– أولاً ينبغي أن نعرف ماهي القيمة الوحدوية التحررية مع الحرص على عمل مقارنة تتعلق بمعارك التحرير ومعارك تثبيت الوحدة بجانب المقارنة بين الحالة اليمنية قياساً بالحالة الألمانية وما هو قائم بالنسبة للكوريتين وأين موقع الحالة اليمنية من هاتين الحالتين، وهذا ما يجب عمله إذا ما كنا نريد أن نقيم المسار التاريخي للقيمة الوحدوية اليمنية، لأن هذه القيمة ليست مجرد حدث احتفالي بل هي أعمق وأكبر من ذلك بكثير، وبخاصة أنه ينبغي علينا أن نعرف إلى أي حد كان رموز هذا الموقف التحرري التاريخي صادقين مع أنفسهم في ذلك الوقت، عندما قرروا إقامة جمهورية اليمن الجنوبية، وما هي أوجه الغرابة التي رافقت أحداث ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م وقبلها أحداث ٥ نوفمبر، وإذا كان هناك تنازلات فما هي هذه التنازلات؟ ولماذا وجدت على وجه التحديد؟ مع أن الأمر يعود إلى سبب غاية في البساطة وهو أنه كان هناك اتفاق بين الإنجليز وبين عبدالناصر على أنه نهار خروج آخر جندي مصري من الحديدة يكون في وداعه محمد عبدالله الإرياني الذي كان يشغل منصب القائد العام آنذاك يكون آخر جندي بريطاني قد خرج من عدن منطلقاً على متن طائرة من قاعدة خورمكسر... وهنا نطرح سؤالاً في غاية الأهمية: هل ثمة اتفاق حصل؟ وهذه قضية ينبغي أن ننظر إليها بعين الاهتمام والفحص التاريخي.

انقلاب

■ *في تقديرك.. هل كان هناك اتفاق ما؟*

□ في تقديري أنه لايوجد حدث وطني بحت ولا قومي بحت، ولكن توجد أحداث معينة بسبب الروابط القوية مع المصالح القائمة في المنطقة وارتباطها بالصراع الدائر بين الشرق والغرب، وكذلك بسبب ارتباطاتها الايديولوجية القوية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وبما اصطلح على تسميته بالحرب الباردة.. وبحسب تقديري الشخصي، وأنا هنا لا أدعي أنني كنت أخوض المعارك في شوارع عدن، بل كنت أخوض معركة أخرى ، حيث كنت حينها أعمل في ورشة وأدرس في ذات الوقت وانضوي، في ظل ظروف صعبة وأنا في المملكة العربية السعودية في منطقة الخبر، تحت ظل حركة القوميين العرب التي أيضاً في ١٩٦٧م شهدت عملية استطيع أن أقول عنها انقلابية في داخلها ابتداءً من يونيو أو ما قبل ذلك بقليل، لكن من يونيو ١٩٦٧م بدرجة أساسية تحولت حركة القوميين العرب من حركة قومية إلى حركة أممية.

مخبرون وثوّار

■ *وقامت بالعملية في نفس التاريخ؟*

– في نفس هذا التاريخ حصل انقسام داخل حركة القوميين العرب، وتحولت إلى ثلاثة تنظيمات «الجبهة الشعبية – الجبهة الشعبية الديمقراطية – حزب العمل الشيوعي اللبناني».. في ذلك الوقت بالذات، وأكرر هنا أنني لا أدعي أنني كنت أخوض المعارك النضالية في شوارع عدن، ولو كنت متواجداً حينها في عدن لكنت عاملاً في إحدى المؤسسات، ولكنت انخرطت في صفوف الكفاح المسلح، فعبدالفتاح إسماعيل كان عاملاً في مصافي عدن.

لكن السؤال الأهم والجدل الذي دار حول من الذي فجر قنبلة عدن.. ثمة أسرار كبيرة في هذه المسألة.. ليس ادعاء أن فلاناً من الناس هو الذي ألقى هذه القنبلة أو أن البريطانيين بحثوا عن شخص يلصقون به هذه التهمة، كما هو الحال بالنسبة للمرحوم خليفة الذي توفي قريباً، والذي من حقه علينا أن نشير إليه، لكن أعود فأقول: إن أسئلة من هذا النوع تحتاج إلى إجابات دقيقة وهي أسئلة بسيطة، ولو كان هناك باحث تاريخي حقيقي وأمكنه الذهاب إلى المكتبة البريطانية فإنه سيجد هناك كافة السجلات والمعلومات، بل وشهادات أناس أحياء يدعون بثوريتهم وهم في حقيقة الأمر كانوا مخبرين بريطانيين، وهؤلاء أظهروا أنفسهم للناس على أنهم شخصيات لها طابع ثوري ولها خطاب إعلامي وخطاب نقابي.

عميل مزدوج

■ *هؤلاء من الجبهة القومية أم من التحرير؟*

– من جبهة التحرير بدرجة أساسية ومن الجبهة القومية كذلك، وهؤلاء ليسوا كل الجبهة القومية ولا كل جبهة التحرير، بل هم شخصان أو ثلاثة، وهذا لا يعني على الإطلاق أي تشويه لدور المناضلين الشرفاء، فالجبهة القومية ناضلت وجبهة التحرير ناضلت، لكن انتماءات القومية بين الناصرية وحركة القوميين العرب، بجانب الظرف التاريخي الذي دارت فيه عمليات التحرير انسجاماً مع ما كان دائراً من عمليات تطهير في الشمال للملكيين، هذه كلها خلقت أجواءً مختلفة، وربما بعضهم لم يكونوا – كما يقال – «عميل مزدوج» بالمعنى السيء لكن كانت لهم تكتيكاتهم للبحث عن الأفضل في إنضاج العملية السياسية والنضالية.. وشخصياً أقول إنني لا أستطيع ولا أدعي امتلاك شيء من الحقيقة، لكنني أحاول استقراء بعض الأشياء من بين الوثائق التي أحصل عليها من وقت لآخر من المكتبة البريطانية لأنهم كل فترة يقومون بإصدار وثائق بما فيها بعض التحقيقات في السجون، وظهرت بعض الأوراق على بعض الرموز لا داعي لذكرها.

ثوار المناسبات

■ *هل من بين هؤلاء الرموز من شاركوا في الحكم بداية الأمر؟*

– هناك أناس كان لهم صلة بهذا القدر أو ذاك، وبعضهم لم يكونوا في عدن بل جاءوا من مكان آخر، بحيث كانوا على سبيل المثال في «الغربة»، وبشكل أو آخر انتسبوا إلى حركة القوميين العرب والحركة الناصرية حينها، ولكنهم كانوا مشوشين حتى لما جاءت المواقف انبرى كل منهم إلى اتهام الآخر، فمنهم من أتهم بأنه رجعي، يميني، عميل للاستعمار، وللأسف كل هذه الأمور كتبت بوثائق إبان الصراع السياسي، كما أن هناك من اتهم بأنه يساري متطرف مندس، وثالث اتهم بغير ذلك من الاتهامات والتصنيفات المتعددة، وهذا كله دليل على عدم النضج ، ودليل على أن السلطة بدأت تحل محل النقاء الثوري، فتكونت هذه المظاهر مع عدم شك بأن تدخلات أو زيارات عديدة جرت على الساحة بحثاً عن مريدين، ولا أقول هنا بحثاً عن عملاء من قبل الاتحاد السوفيتي ومن قبل بلغاريا وجهات أخرى عديدة، وكلها وجدت أن هناك شيئاً من هذا القبيل ينضج، وهذا النوع من الطرح والتفكير يختلف تماماً عما يحدث الآن من قبل بعض الأشخاص الذين يظهرون في المناسبات على أنهم مناضلون، وأنا هنا أشكرهم جميعاً، وأبارك لهم خطاهم، كما أقول كذلك: إنه ينبغي علينا أن نذكر محاسن موتانا ولا داعي لفتح ملفات على الاطلاق ، فنحن في ظرف نحتاج فيه إلى التوحد، ونحتاج فيه إلى رؤية أكثر للمستقبل، أما اجترار الماضي والمزاحمة على

سلّمت بريطانيا السلطة للجبهة القومية مدفوعة بعدة اعتبارات

من فجر هذه القنبلة أو من ألقى هذا المنشور أو من دخل هذا السجن أو من خرج منه من الخلف أو من الأمام..ومن أوهموهم أنهم مناضلون، أو من مسكوه وهو يقلّب عينيه أو يضع اللثام على وجهه، هذا كله في تقديري الشخصي لا قيمة له.

حدث هذا في تعز

■ *اتفاق عبدالناصر في ٥ نوفمبر، وكذا ٣٠ نوفمبر.. نريد توضيحاً أكثر حول هذا الموضوع؟*

– أنا لا أمتلك معلومات كافية لكن أمتلك انطباعات مبنية على تحليلات وعلى رؤى واضحة، فالبريطانيون سلموا السلطة للجبهة القومية مع أنهم قد عرضوها على جبهة التحرير، والذين يعلمون هذا موجودون على قيد الحياة، غير أننا لا نستطيع القول إنهم رفضوا لكنهم قدروا الأمر تقديراً مختلفاً، والبريطانيون – حينها – فهموا هذا التقدير بلغة أخرى، أي أن هذا التقدير في الجنوب إذا قام فسوف يكون تابعاً لعبدالناصر في حالة جبهة التحرير، لكنهم لم يكن لديهم هذا الاعتقاد الكلي إلاّ بعد أن قدموا الطعم لجبهة التحرير بأن تعالوا نسلمكم السلطة، فقال أصحاب جبهة التحرير نتشاور مع عبدالناصر حول هذا الأمر.. فما كان من البريطانيين إلا أن سلموا السلطة للطرف الآخر، وهذا الأمر حصل في تعز ولا يزال البعض ممن هم على قيد الحياة يعرفون بهذا العرض الذي قُدِّم لجبهة التحرير.

وعندما اتجهت بريطانيا إلى الجبهة القومية ذهبت مدفوعة بعدد من الاعتبارات، منها أن الجبهة القومية لديها رصيد نضالي وعندها امتداد خارج عدن، وبالذات المحافظات المجاورة غرب عدن وشرق عدن كأبين بدرجة أساسية، وكذلك شبوة والضالع وردفان والصبيحة، وكذلك ما يحيط بعدن من سلطنات ومشيخات، وهذه الأمور حسمت الموقف بشكل كبير، إضافة إلى أن جبهة التحرير لم تدخل حضرموت على نحو سياسي كبير لأن عناصر الجبهة القومية كان لها في حضرموت حضورها وتواجدها، وهذا الحضور هو حضور سياسي واجتماعي وثقافي، حتى أن التيار الآخر الذي لم ينتم للجبهة القومية، وأذكر منهم المرحوم محمد عبدالقادر بلفقيه، الذي كان سفيرنا في القاهرة، مندوب اليمن في اليونسكو، وهو مؤرخ معروف، كما كان الدكتور محمد عبدالقادر بلفقيه مع الأستاذ محمد عبدالوهاب بامطرف يتنافسان كمثقفين نخبويين على تمثيل النخبة في السلطنة القعيطية، وكان في الوادي أيضاً يوجد عبدالقادر الصبان وغيره.

وفي حقيقة الحال لم يكن حضرموت الساحل يمثل إلا مكاناً سكنياً، لأن بلفقيه هو من وادي حضرموت من جهة دوعن، وعبدالقادر الصبان من سيئون، وكذا محمد عبدالقادر بامطرف، وهؤلاء النخبة من بينهم أيضاً شخصية أخرى اسمه عمر سالم باعباد، وهؤلاء كلهم تكونوا في مدرسة واحدة مع الذين دخلوا حركة القوميين العرب في حضرموت، وكان العنصر المنافس لحركة القوميين العرب في حضرموت هو البعث بزعامة علي عقيل الذي كان آخر منصب شغله هو مدير مركز البحوث وعضو القيادة القومية عن اليمن في سوريا، وعشية الاستقلال كان علي عقيل في دمشق، وكان المركز الرئيسي للبعث في حضرموت الوادي وليس في الساحل حتى فرج بن غانم كان له علاقة بالبعثيين، بل انه كان ضمن التشكيلة التنظيمية لحزب البعث فاختلف معهم ثم خرج بعد ذلك.

هذا الجو كان – في حقيقة الأمر – غائباً عن جبهة التحرير، وكان قريباً من حركة القوميين العرب، بل ان الأمر وصل إلى حد أن حركة القوميين العرب لم يكن لديها خلاف مع التيار البعثي السوري، وبالتالي كانت المسائل متقاربة مع بعضها البعض فكرياً وسياسياً، وفيها أيضاً نوع من التقارب الآخر المتمثل بالمنافسة مع الفكر الناصري، وعشية الاستقلال كانت ثمة أسئلة كثيرة، ولهذا ينبغي أن نتعامل مع الحدث نفسه ونعزل الأشخاص عن هذا الحدث ثم ننتبه للأشخاص بعد ذلك، وكما تعلم فإن عشية الاستقلال كان هناك تنازع كبير بين كافة القوى الإقليمية والدولية على تحديد هوية هذا النظام إلى درجة أن الخبراء الكوبيين كانوا موجودين وهم الذين اقترحوا أن تكون جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، مكونة من ست محافظات، وهذه الفكرة كانت موجودة في كوبا، وقد أخذوا بها لتذوب الأسماء وتبدأ الأرقام، ثم جاءوا بعد ذلك إلى المحافظة الواحدة قسموا فيها خمس مديريات.. المديرية الوسطى – المديرية الشمالية – المديرية الجنوبية – المديرية الغربية بهدف تذويب الأسماء، وتذويب الأسماء هذه كانت عملية ذات حساسية مفرطة في حينها، حتى أن بعض الأشخاص ذوبوا اسماءهم الشخصية أمثال محمد صالح مطيع، الذي كان اسمه في البداية محمد صالح يافعي، ومطيع هنا هو الاسم الحركي، وكذلك هناك محمد سعيد عبدالله الشرجبي، تحول في النهاية إلى محسن، وأيضاً علي ناصر محمد الحسني ، أصبح علي ناصر محمد، وكفى... حتى أن العديد من الشخصيات السياسية التي ظهرت على الساحة تم تذويب أسمائها، باستثناء قحطان محمد الشعبي وفيصل عبداللطيف الشعبي، ولذلك كلما كان هناك اسم يتبع قبيلة أو سلطنة كان يجب عليه أن يذوب، كما كان في ذات الوقت نوعاً من المزايدة الشديدة، على الرغم من أن الإخوة الثوار في صنعاء أظهروا من كان لهم انتماءات للتيار الهاشمي على سبيل المثال المتوكل – الوزير – شرف الدين.. الخ، وهذا أعظم موقف هو أنك تحترم الشخص لموقفه لا لانتمائه لأسرة أو قبيلة، هذا التجاذب الذي كان قائماً في الجنوب كان له تأثيراته على الأرض، وهنا نأتي إلى التأثير الآخر وهو التأثير الإقليمي حيث كانت هناك أطراف إقليمية تقود الصراع بين الملكية والجمهوريين في الشمال، ولم يحسم الأمر على كل حال، وأطراف إقليمية تدير الصراع بين مصر والسعودية، وفي الوسط البريطانيون الذين سينتقلون من عدن وهم في ذات الوقت المحتجون والرافضون لوجود عبدالناصر في الشمال، كيف يمكن إذاً أن تكون العملية؟ فبدأ التفكير بمنح الاستقلال قبل ١٩٦٨م وتم تقديمه بعد ذلك ليكون في أواخر ١٩٦٧م ربما ليتناغم مع خروج المصريين من الشطر الشمالي، وهو أحد الأمور التي ينبغي النظر إليها على أنها من المفردات التي تحتاج إلى تقييم، بمعنى.. هل كان هناك صدفة أو ضرورة فيما يتعلق بفلسفة الصدف والضرورات بأن يتزامن خروج آخر جندي مصري يركب الباخرة في الحديدة ويودعه محمد عبدالله الإرياني – قائد القوات في ذلك الوقت بعد ٥ نوفمبر مع خروج آخر جندي بريطاني من قاعدة خورمكسر، وتقريباً كان هذا الأمر في نهار نفس اليوم، فهل هذه صدفة أم كانت ضرورة؟.. وأكرر ينبغي أن نفرز هذه المسألة فرزاً دقيقاً حول تأثيرات العملية كلها من حولنا والتجاذبات التي كانت قائمة، كما أن هناك ما يلفت النظر، وهو أن جزيرة كمران كانت تابعة لمستعمرة عدن، وهذه الجزيرة كانت هناك رغبة وكان هناك مفهوم أن تنتهي تبعيتها لعدن حتى لو قام النظام في الجنوب وتلتحق بالشمال، لكن البريطانيين في ذلك الوقت كانوا لا يزالون معترفين بالمملكة المتوكلية اليمنية، وبالتالي كيف يسلمون كمران للجمهورية العربية اليمنية، وهنا كان لابد من عمل شكل صوري بحيث تبقى كمران تابعة للمستعمرة البريطانية، وتم بالفعل عمل استفتاء بإشراف بريطاني واختار أهالي كمران أن يكونوا تابعين لعدن على اعتبار أنه يفصل بينهم وبين أراضي الشمال بحر واسع، ولأن الحرب كانت دائرة بين الجمهوريين والملكيين والأوضاع غير مستقرة، ولذلك لم تدخل كمران ضمن أراضي الجمهورية العربية اليمنية إلاّ في ١٩٧٢م بعد الحرب الأولى التي وقعت بين الشطرين، وقد جاء هذا الأمر باتفاق مع سالم ربيع علي كتعبير عن وحدة ومصير الوطن اليمني الواحد، وهذه الحادثة أيضاً لها بعدها المعين.

مراسيم الاستقلال

■ *أنت ركزت على الصدفة والضرورة.. فماذا كانت تمثل هذه الأحداث.. صدفة أم ضرورة؟*

– يمكن كان بقاء كمران في ذلك الوقت في ١٩٦٧م تابعة لعدن صدفة، لكن في ١٩٧٢م كان انتقالها إلى إقليم الشمال ضرورة، كما أن الضرورة الكبرى كانت هي